يصلُ عن طريق المدح فَيُغْدِقُ الصفات الصادقةَ أو الكاذبة لينال، وبعضُهم يصل عن طريق الذّم والهجاء فتصله الصّلات والعطايا والهباتُ وينال رزقه كذلك . فالهجاءُ سوق رائجة منذ القديم وفن مطروقٌ منذ فجر الأدب العربى ، لا بد من البحث فيه ودراسته على أنواعه وأقسامه .

ونحن حين نستعرض هذه الألوانَ نعرفُ أننا نغمسُ ريشتنا فى الشر ونقلّب أعيننا فى الأذى فتنقل من الأقوال ما يحلو وما لا يحلو ، ولكننا نتعفّف فى كتاب أعد للناشئة لئلا نسوق إلى الشر . فنُضرب عن ذكر ما تخجل العذراءُ والشادى من ذكره وقراءته ؛ وفى الهجاء كثير منه ، أسفّ بعضهم حتى نزل إلى الحضيض وورد عند الوحل ، وسقط فى الماء الكدر الملوّث ، وعلق بما لا يعلق به شرف أو نبل أو رفعة — كما قلنا . لذلك نستعرضُ ما خفّ حمله وسهلت روايته ، وأذنت الآداب المتعارفة بقراءته وسماعه. وهذا ما جعل الطريق محفوفة بالأشواك محوطة بالمصاعب ، ولكننا نريد الورد والنَّوْرَ لنجمعهما باقةً تمثل هذا الفن الغنائى الرفيع ، ففيه رسم، وتصوير، ووصف ، يسمو بأدبنا إلى مصاف الآداب العالمية ، لذلك تمثلنا بمن استشهدنا بروائعه غير مبالين بأن تدمى أكفنا على أن تسلم آذاننا ونفوسنا ، فى بحث لا نراه مستوعباً كل الاستيعاب ، خوفاً من خطره على الآداب أو خشية من اللوم والعتاب ، أو عجزاً عن الشمول فى شعر ندر أن اجتمع بين دفتىْ كتاب واحد ، فجمعنا شتاته من أطراف الأدب ، وحشدناه لهذا النقد والتحليل . وهدفنا وجه الله وخدمة الناشئة ، وفقنا الله للصواب .

الدكتور سامى الدهان

دمشق فى ٥ يونية ١٩٥٧